

«زرادشتية» إيران بين نظرتين: عربية وغربية

محمد الهاشمي*

شكّل العداء بين المذاهب والطوائف الإسلامية وجهاً بارزاً للواقع الإسلامي على مر العصور؛ وقد تراوح العداء هذا بين الدموية والحروب انتقالاً للسجلات الكلامية والتكفير المتبادل، وانتهاءً بالمعاملات بين أتباع المذاهب والطوائف في التجارة والحياة الاجتماعية ومظاهرها كالزواج والجيرة والإقراض المالي.

(* كاتب وباحث إماراتي.

كثيراً ما تأسس العداء على شيء من التمييز العرقي والإثني الشعبي عدا عن الخلاف الفقهي والعقائدي، وانعكس الأمر على الصراع السني الشيعي بوجه أخص، حتى تجاوز التمييز الإثني والعرقي بينهما خطوط واقع أن أتباع المذاهب ينتشرون في بلاد العرب والعجم. ومن بين أفاضل التنازب التي يخصصها كثير من أتباع السنة لشيعية أنهم «مجوس» عبدة للنار - والمجوس هم أتباع الديانة الزرادشتية القديمة التي ظهرت في فارس وقد كانت للنار قداسة عندهم، كما هو الماء أيضاً.

كانت الزرادشتية الديانة الرسمية لمملكة الساسانيين الفارسية التي سقطت بيد جيوش الخلافة الإسلامية الثانية في القادسية. هذه الفكرة حول بقاء الفرس على مجوسيتهم لها ما يقربها من الواقع في القديم والحديث وسنتطرق إلى بعضها لاحقاً، لكن يتضح جلياً من تفسيرات المستخدمين لها من أهل السنة أنها تعيد مجوسية الشيعة إلى وضع أجدادهم ما قبل الإسلام، أكثر من ربطها بين أيديولوجية الشيعي الإيراني وإرث الزرادشتية الثقا في الذي كان قد أثر في ديانات أخرى، كاليهودية والمسيحية وكذلك الإسلام عموماً عدا عن الإسلام الشيعي الإثني عشري خصوصاً، الذي يلتقي مع المعتقد الزرادشتي في وصف الوحدانية والربوبية¹.

كان للموروث شيء من التأثير على هذه الفكرة التي تشكلت وتضاعفت وتيرتها حتى عصرنا الحالي بسبب التوتر الجاري بين ضفتي الخليج العربي، حتى صار هناك ربط بين الشيعة وعبادة النار وبين الشيعة والفارسية الزرادشتية، وبين الشيعة والحدقد على العرب أو العكس، ومن ذلك أن حديثاً منسوباً للرسول أشار إلى سلمان الفارسي وقومه بأنهم هم من أشار القرآن إلى استبدال العرب بهم إن تولوا². هذا الحديث وأحاديث أخرى، عدا عن مقتل رمز سني كعمر بن الخطاب

(1) طريقة الحياة المعاصرة لشيعية إيران تشير بحسب الباحثين إلى ارتباط عميق بالمعتقدات القديمة وشعائر الممارسة، وأنها تتسجم بشكل جيد مع ما جلبه الإسلام من معتقدات توحيدية. انظر:

Shima Houshyar, Zoroastrian Pilgrimages and Muslim Saints: Tracing Modern Iranian Shi'ism at the Shrine of Chak Chak, August 26, 2013, Ajam Media Collective, on: <http://goo.gl/IBjzI>

(2) محمد، بن عيسى، جامع الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة محمد صلى الله عليه وسلم، حديث رقم 3331. موقع جامع السنة وبحوثها على الرابط التالي: hadithportal.com. يروي الترمذي عن أبي هريرة قوله: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية «وان تولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم» قالوا: ومن يستبدل بنا؟ قال: فضر رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان ثم قال: [هذا وقومه. هذا وقومه]. وبين الترمذي أن الحديث «غريب في إسناده»، وفي شرح الحديث من تحفة الأحوزي إن

على يد أبو لؤلؤة «المجوسي»³، كله أذكى فكرة أن الفرس متربصون بالعرب وأن هناك تنافسية بينهما على زعامة الإسلام، إلى أن انتقلت تلك المشاعر إلى كتب المستشرقين الغربيين الذين كتبوا ونقلوا عن الإسلام، كما وصلت الفكرة نفسها إلى كثير من الباحثين الغربيين المعاصرين وهم مهتمون بفهم جذور الإرهاب على خلفية أحداث 11 سبتمبر (أيلول) وظهور حركات القاعدة وداعش. حاول هؤلاء فهم مرجعية الفكرة أن الشيعة مجوس - أي أنهم كفرة بطبيعة الحال، بسبر أغوار الفهم السلفي السني الذي قوى بدوره اعتقاد أهل السنة بمجوسية الشيعة، دون أن يغفلوا الأهمية التاريخية للموروث الزرادشتي الفارسي وتأثيره في الأديان السماوية كافة، وهو ما يتضح فيما سيعرض من آراء واستشهادات. من المهم أن نفهم كيف يرى العالم غير المسلم أوجه هذا الصراع السني الشيعي، وبالتحديد كيف يروي فكرة اعتقاد أهل السنة أن الشيعة «مجوس».

من اللافت أيضاً أن نلاحظ أن بحث الغرب في الوهابية (السلفية) قادهم إلى البحث في الصراع السني الشيعي عموماً باعتباره العدو اللدود في الأدبيات السلفية التي ترى أن من اخترع التشيع (الرفض) كان يهودياً وأنهم أولى بالقتال من الخوارج⁴، وهو ما صب في صالح نظرتهم للتشيع وخلفيته الثقافية الإيرانية بسبب سلبية صورة السلفية (وفي مصادر أخرى التيمية)⁵ كمتعقد «عربي» أنبت الإرهاب المعاصر؛ وهو ما تستخدمه حكومة إيران حالياً في مواجهة السعودية لمغازلة

في سنده شيخ من أهل المدينة مجهول لكن كلاً من الجورقاني وابن حبان والألباني صححه. وقال الوادعي إنه صحيح على شرط مسلم. موقع الدرر السنية، الموسوعة الحديثية، على الرابط المختصر التالي:

<http://goo.gl/thl6b6>

(3) يوصف أبو لؤلؤة فيروز قاتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأنه «المجوسي» في أدبيات سنية عدة كرواية السيوطي عن ابن عباس (تاريخ الخلفاء)، وهو «كافر من عباد النيران» عند ابن تيمية (منهاج السنة) على الرغم من أن الذهبي ذهب إلى أنه كان عبداً نصرانياً لمغيرة بن شعبة (المختصر في الرجال)، بينما ذكرت مراجع أخرى أن أبو لؤلؤة قتل الخليفة لتأثر شخصي وإنه لم يكن مجوسياً بل كان مسلماً «ذا شأن»، واستدل على ذلك المبرزا عبد الله الأفتدي في كتابه «رياض العلماء» من أن ابنته مسلمة وأخاه مسلم وقد ذكرا في الموروث حتى بعد مقتله في المختصرات والسير كما عند الذهبي.

(4) وفي فتواه يعتقد ابن تيمية إن قتال الخوارج أولى من قتال المشركين (وهم في هذه الحالة النصارى واليهود الوثنيين) وبالتالي ينتج أن قتال الشيعة (الروافض) أولى من الجميع. انظر: أحمد، عبد الحليم ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، طبعة الأوقاف السعودية، 2004.

(5) كما ورد في المصادر المستخدمة والدراسات حول الموضوع التي اطلع عليها الكاتب، فإن متأخري السلفية الحنبلية هم من يرجع إليهم الباحثون أسباب ظهور اتهام المجوسية للشيعة أو على الأقل انتشارها وجماهيريتها بين الشعوب السنية.

الفكرة الغربية نفسها، خصوصاً وأن الصورة الحضارية للفرس إيجابية إلى حد كبير في الغرب، بعكس الصورة النمطية للعرب عندهم، وهو عامل مؤثر بدوره في استعداد الغرب الواضح للتحيز لإيران في مواجهتها مع العرب، خصوصاً بعد عودة العلاقات الإيرانية الدولية مؤخراً. وقد يبرز في ظل هذا الحال اعتقاد أن مجوسية إيران أو مجوسية الشيعة قد تكون اصطلاحاً إيجابياً في نظر الغرب أكثر منه سلبياً، فالمجوسية بأصلها الزرادشتي لا تحمل ما حملته صورة «الإسلاموية»، وهذا يعني أن مجوسية إيران - إن وجدت - قد تكون أفضل من إسلامويتها في نظر الغربي المعاصر. وتصب في صالح التعاطف مع إيران، لا سيما لو أن من استخدمها كان عربياً سنياً مسلماً، أو كان على علاقة بالتدين السلفي أو السعودي⁶، وهذا ما يعني أيضاً أن استخدام مجوسية إيران في الوقت الراهن - بهدف النيل منها - قد يفضي إلى نتيجة معاكسة، وكلها تحليلات يسعى البحث إلى تعزيزها أو دحضها.

الزردشتية الفارسية والنشيع

تأسست الزردشتية ما بين 1000-1800 سنة قبل الميلاد على يد النبي زرادشت، الذي بشر بإله واحد اسمه «الحكيم» (أهورا مزدا) وهو عدو الشر المتمثل في «الروح الحانقة» (أنغري ماينيو) وهي المعتقدات التي تعززت تباعاً وبشكل شبه مطابق في اليهودية والمسيحية والإسلام⁷. لا يقتصر أثر الزردشتية على احتفال الإيرانيين بأعياد «النوروز»⁸ بل يتعدى ذلك وصولاً إلى الثقافة المجتمعية المعاصرة، والمعتقدات الدينية أسوة بالديانتين المسيحية واليهودية. لقد تقلص انتشار الزردشتية كديانة في إيران منذ صعود الثورة الخمينية عام 1979، ومنذ ذلك الحين تحولت الزردشتية من ديانة تتعايش مع الإسلام الفارسي إلى عقيدة

(6) صدرت منشورات عدة عن صعود نظام الثورة الشيعي وتفاقم العداء بين المملكة العربية السعودية وإيران تربط بشكل مباشر بين نظام ولاية الفقيه والإرث والحقد المجوسي، من بين ذلك كتاب ألفه محمد عبد الله الغريب بعنوان «وجاء دور المجوس» (يشير موقع الغريب الرسمي أن الناشر هو مكتبة الرضوان - مصر). انظر: جيرولد غرين وفريدريك ويرى وتشارلز وولف، كتاب فهم إيران. مؤسسة راند. 2009

(7) الزردشتية، على الرابط التالي:

Religionfacts.com.

(8) عيد رأس السنة الفارسية ويصادف يوم الاعتدال الربيعي أي الحادي والعشرين من مارس (آذار) في التقويم الميلادي. يحتفل به أيضاً في مناطق تركية كردية وأفغانانية وقفقازية، ويحتفل به سنوياً 300 مليون من سكان العالم (المصدر: اليونيسكو)

كافرة، حيث قام الثوار آنذاك بالصعود إلى معبد النار الزرادشتي في طهران - قبله الديانة- واستبدلوا بصورة النبي زرادشت فيه صورة الخميني زعيم الثورة⁹. وقد نشرت محطة (CNN) تقريراً عن ممارسات تعسفية ينتهجها حرس الثورة الإيراني ضد من تبقى من الزرادشتيين الذين كانوا يمارسون الشعائر القديمة سراً، وأنهم يستخدمون المعابد والمقابر الزرادشتية للتدريبات والمناورات القتالية¹⁰.

بالنسبة للعامة في الغرب، فإن ذكر الزرادشتية لا يذكر سوى بثلاث معلومات - ليس أي منها سلبياً بالضرورة، أولها الإشارة المغلوطة إلى ديانة تعبد فيها النار، ثانيها كتاب الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه «هكذا تكلم زرادشت»، وثالثها نجم الروك الراحل فريدي ميركوري ذو الأصل الإيراني وقد كان أشهر زرادشتي معتق في العالم¹¹. لكن الديانة يتبعها حتى اليوم ما يقدر بمائة وتسعين ألف معتق، قد يقلون عن ذلك بسبعين ألفاً بسبب قمع النظام الإيراني الشيعي لأي دين أو مذهب مختلف عنه، وكان أتباعها قد بلغوا 40-50 مليوناً في عهد كسرى¹² بينما تشير تقديرات أخرى إلى أن 100 ألف زرادشتي داخل إيران اليوم مسجلون رسمياً على أنهم مسلمون¹³.

من جهة أخرى، فإن أتباع الديانة -من أكاديميين ورجال دين- نشطون في تقديم معتقداتهم وإرثهم الزرادشتي للغرب بالطريقة التي تعمق من احترام الديانة باعتبارها إحدى أقدم الديانات التوحيدية في العالم¹⁴. وقد قدم الزرادشتي

(9) قد يستتج الباحث هنا احتمالاً لما يشير إليه هذا الفعل من رمزية. إنه إعلان لعهد جديد لنبي (أو مهدي) يعيد مجد زرادشت متمثلاً في صورة الخميني بدلاً من زرادشت!

(10) Jamsheed K. Choksy, How Iran persecutes its oldest religion, CNN, November 14, 2011, on: <http://goo.gl/QLMwN6>

(11) Zenobia Ravji, The Religion that the Iranian Mullahs Fear Most, May 2016, Issue 38, on: <http://goo.gl/cDoxTr>

(12) LAURIE GOODSTEIN, Zoroastrians Keep the Faith, and Keep Dwindling, the New York Times, SEPT. 6, 2006, on: <http://goo.gl/YHMVYG>

(13) Zenobia Ravji, The Religion that the Iranian Mullahs Fear Most

(14) يقيم الزرادشتيون سنوياً مؤتمراً عالمياً للزرادشتية يُقام في عواصم مختلفة، للتعريف بالديانة، ومناقشة التحديات التي تواجهها

داريوس جاهانيان - وهو أمريكي من أصل فارسي- ورقة في المؤتمر العالمي السنوي للزرادشتية في تكساس عام 2000 أوضح فيها أن أكبر عملية استنزاف واجهتها الديانة كانت في عهد الشاه سلطان حسين الصفوي (1694-1722) لما خيروهم بين الدخول في الإسلام أو «تحمل العواقب»، وقد أدى ذلك إلى ما قدرته مراجع فرنسية بقتل ثمانين ألف زرادشتي ونزوح ما تبقى منهم، متهماً النظام الثوري الإيراني بأنه يمثل امتداداً لهذا القمع والتطهير، ومشيراً إلى فتاوى متعددة تصدر من المراجع الشيعية حتى اليوم وأن الزرادشتية في تقهقر مستمر تحت حكم نظام الملالي¹⁵.

وفي مراجع زرادشتية أخرى كثيرة قدمت للغرب، ما دلل على أن التفاهم المزعوم بين الصفوية الإيرانية أو إيران الشيعية الإثني عشرية المعتقدة بولاية الفقيه، كما فسرها آية الله الخميني وبين المجوس غير موجود، بل أن الزرادشتيين أنفسهم يعدون المذهب الشيعي سبباً رئيساً من أسباب تحول ديانتهم إلى ديانة معرضة للانقراض. أما ما إذا كان «الحقد المجوسي على العرب والمسلمين السنة» مجرد شعور عرقي أو شعوبي فارسي نتج عن قضاء الخلافة العنصرية على امبراطورية ساسان المجوسية فتلك قضية أخرى، قد تثبت أحياناً بحسب ما نقله المؤرخون الزرادشتيون أنفسهم، ونقله أكاديميون وباحثون غربيون أيضاً، من أن ما تبقى من الزرادشتية اليوم هي ديانة غير عالمية وأنها عرقية مقتصرة على الفرس بامتياز¹⁶.

الفارسية المجوسية والعرب توضح الباحثة زونبيا رازجي، وهي باحثة زرادشتية أن هناك صحوة فارسية للعودة للجذور الزرادشتية بدأت مؤخراً في الظهور، وإن هناك «عودة للاعتناق» تزدهر في إيران وخارجها كردة فعل على غياب الهوية الفارسية العريقة لمصلحة الإسلام الذي تمثله دولة إيران اليوم وأن ذلك «شجع على

وأتابعها. كان آخر مؤتمر للزرادشتيين الشباب قد نظم في نيوزلندا بين 28 ديسمبر (كانون الأول) 2015 و 2 يناير (كانون الثاني) 2016. لمزيد من التفاصيل عن المؤتمر انظر الرابط التالي:

<http://www.6wzyc.co.nz>

(15) Darius, Jahanian, Islamic Era History of Zoroastrians of Iran Through Political Analysis and Historical Letters, The Circle of Ancient Iranian Studies, on: <http://goo.gl/ZC3rMB>

(16) Jamsheed K. Choksy, How Iran persecutes its oldest religion

النظر إلى الإسلام على أنه دين غريب فرض بالقوة على الفرس بعد الغزو العربي في القرن السابع للميلاد¹⁷، ما يشير إلى أن الزرادشتيين ينظرون إلى النظام الإيراني الشيعي على أنه امتداد لهذا الغزو.

نشرت «العربية.نت» نص مقابلتين لمجلة إيرانية أسبوعية أجراها صادق زيبا، وهو مفكر إيراني يعمل أستاذاً بجامعة طهران، قال فيهما إن «الكثير من الإيرانيين يكرهون العرب، ولا فرق بين المتدين وغير المتدين في هذا المجال»، مشيراً إلى أن هناك حقداً دفيناً على العرب ما يزال حاضراً لدى الشعب الإيراني: «يبدو أننا كإيرانيين لم ننس بعد هزيمتنا التاريخية أمام العرب ولم ننس القادسية بعد مرور 1400 عام عليها، فنخفي في أعماقنا ضغينة وحقداً دفينين تجاه العرب وكأنها نار تحت الرماد قد تتحول إلى لهيب كلما سنحت لها الفرصة (...)» إن الدوافع من وراء تأسيس مجمع اللغة الفارسية كانت طرد الكلمات والمصطلحات العربية من الفارسية، وهذا يدل على حقنا تجاه العرب (...)¹⁸.

في المقابل، يشير جون ليمبرت في تقرير لمجلة فورين بوليسي، إلى أن العلاقة الوطيدة التي تربط بين إيران وبين قطر وعمان، تدل على أن المشكلة بين إيران والعرب ليست عرقية ولا شعوبية، بل ناتجة عن الكثير من التقاطعات بين العرب والفرس وقليل من فهم كل منهما الآخر مع كثير من سوء الفهم - المبرر والمغلوط أحياناً. لكنه أبرز أن الفخر الفارسي الذي قاوم تعريب إيران لأكثر من 2500 عام أمد الشعب الإيراني بكثير من الشوفينية التي انعكست على خطاب أنظمتها السياسية في مختلف العهود. وأضاف ليمبرت أن كثيراً من الندوب الدينية والعرقية

(17) Zenobia Ravji, The Religion that the Iranian Mullahs Fear Most

(18) سعود الزاهد، مفكر إيراني بارز: نكره العرب وبسببهم نلعن أهل السنة.. ولا ننسى لهم «القادسية»، موقع العربية.نت، 5 أكتوبر (تشرين الأول) 2011، على الرابط المختصر التالي:

<http://goo.gl/kEpNy9>

وعلى الرغم من كون هذا الحديث صادماً ومباشراً إلا أن محللين كمحمد جميع أوضح في مقال لصحيفة الشرق الأوسط إن التصريح غير مفاجئ على الأقل لمن درسوا طبيعة الأبعاد الموضوعية للأدب الفارسي قديماً وحديثاً، كما أنه غير مفاجئ للمراقبين الذين يرصدون الشأن الثقافي والسياسي الإيراني في تشابكاته مع القضايا العربية». انظر: محمد، جميع، صورة العربي في المخيال الفارسي، صحيفة الشرق الأوسط الدولية، 19 ديسمبر (كانون الأول) 2011، على الرابط المختصر التالي:

<http://goo.gl/ljeBkQ>

التي تكونت عبر قرون ترأسها واقع سياسي دام للمنطقة شهد سقوط ملكيات عدة مقابل ظهور «ثورية إيرانية» على أطلال إحداها بسقوط نظام الشاه عام 1979. كما أن الشعور الشعبي العام لدى الإيرانيين بأن العرب «البدو» قضاوا على حضارتهم ظل باقيا، وانعكس ذلك على جهل كل من العرب والإيرانيين لكل منتجات حضارتهم الحديثة من فنون وآداب وتاريخ وسياسة، مما عمق الصدام والشعور من العرب بأن إيران حاقدة عليهم، على الرغم من أنها أظهرت في كثير من الأحيان عروبتها أكثر من العرب بمواقفها مع الفلسطينيين على سبيل المثال: «هل يريد العرب فعلا حربا مع إيران؟ ربما لا، بما أن هناك نتائج مدمرة اقتصاديا وسياسيا تبعا لذلك. ولكن فوق كل التظلمات الدفينة في الماضي والحاضر بينهما، فإنهم لا يجدون حرجا من إظهار العداوة، خصوصا أمام الزوار الأميركيين، الذين يظهرون لأسباب مختلفة شعورا مماثلا بالعدائية»¹⁹.

يوضح أرشان أديب مقدّم في كتاب له، أن تصاعد وتيرة استخدام العرب لاتهام الإيرانيين بالمجوسية رافق الحرب الإيرانية العراقية لأسباب تتعلق بخطاب الرئيس العراقي صدام حسين، فقد ظهرت في منشورات رسمية وغير رسمية عدة آنذاك، في خضم حرب إعلامية رافقت الحرب الفعلية بين الجانبين، حاولت استثمار هذا الاعتقاد لتعميق الكراهية ضد العدو إيران، وضرب على ذلك مثلا تسمية العراقيين الحرب بـ «قاديسات صدام» في إشارة إلى معركة القادسية التي أطاحت بدولة الفرس، ومشبهة صدام حسين بالفتح العربي المسلم سعد بن أبي وقاص²⁰.

في إحدى الدراسات كان الحديث عن مجوسية إيران على أساس أنه اتهام يستخدمه العرب السنة؛ وخصوصاً التنظيمات الجهادية المنتمية للطائفة، واصفة ذلك بأنه جزء من أدوات الحرب الطائفية القائمة بين السنة والشيعة، تتضح حالياً

(19) John Limbert, Why Can't Arabs and Iranians Just Get Along? December 1, 2010, foreign policy, on:

<http://goo.gl/iZsa8g>

(20) Arshin Adib-Moghaddam, The International Politics of the Persian Gulf: A Cultural Genealogy. Routledge. Second Edition 2006. P. 37-38.

في معطيات الصراع داخل سوريا:

«والطريقة الأخرى التي صور بها الإسلاميون السُّنة الإسلام الشيعي على أنه يمثل معتقدات إسلامية غير صحيحة هي إطلاق اسم «المجوس» عليهم. ويشير هذا المصطلح إلى الزرادشتية (كما تسمى أحياناً بعبادة النار)، التي تتبنى المذهب الشيعي كقناع لدين منحرف في الماضي (..) إن طبيعة هذه الألقاب والجماعات التي تتبناها يجب أن تقدم صورة كاشفة ومثيرة للقلق عند محاولة فهم تفاقم الصراع السوري (..) ويتبع العديد من الفاعلين استراتيجيات طويلة الأجل لنزع الإنسانية عن الطرف المقابل لأنهم يرون ذلك معركة دينية كونية وجودية بين السلفية السنية والشيعية الخمينية».²¹

تري دراسة أخرى أن استخدام تسميات كـ «المجوس» و«الرافضة» و«الصفويين» و«أذئاب الفرس» و«أعداء الدين» و«الزرادشتيين» و«عبدة النار»²² وغيرها ما هي إلا جزء من آلة شيطنة الآخر، وأن عجلة الشيطنة تمتد لأرجاء العالم الإسلامي وتنتشر بين عامة الناس، حتى أنها باتت تؤثر في مدى اعتقادهم بأن الشيعة مسلمون في الأصل، حيث أشارت النتائج إلى أن الشعوب ذات الغالبية السنية كثيراً ما تعتقد أنهم ليسوا مسلمين، بحسب نتائج كل من الأردن ومصر والأراضي الفلسطينية والمغرب، بينما أظهرت النتائج أن الدول ذات الحضور الشيعي القوي كالعراق ولبنان ترى شعوبها أنهم مسلمون، وكان اللافت أن تونس كانت الاستثناء الوحيد حيث رأى 54% من المشاركين من تونس ذات الغالبية السنية أن الشيعة «مسلمون»²³. وأشارت بعض الدراسات إلى أن اتهام الشيعة بأنهم مجوس، لا يتعلق بممارسات تتم عن هذا الاعتقاد بقدر ما هي ناتجة عن عنصرية دفينية لدى مستخدميها لوصم أممية بأكملها بالعدو والمبطن والظاهر معاً، بسبب تاريخها وجذورها الغابرة، وأن

(21) مفردات الطائفية، معهد واشنطن، 29 يناير (كانون الثاني) 2014، على الرابط المختصر التالي:

<http://goo.gl/GWqS6M>

(22) عبادة النار تهمة مغلوبة للمجوس (الزرادشتيين)، للمطلع على كل وثائق الديانة والمنشورات عنها، فهم يعتبرون النار والماء أدوات من طقوس الطهارة الروحية.

(23) The Sunni-Shia Divide, Council on Foreign Relations, on: <http://goo.gl/1Vrkqg>

كثيراً من تغريدات تويتر والتواصل الاجتماعي تحتوي رسائل تحمل هذا المضمون وتقله لآلاف المتابعين، الأمر الذي يغذي نار الطائفية في المنطقة²⁴.

رؤية الغرب

يلاحظ من مختلف المصادر الغربية، أو المكتوبة باللغة الانجليزية، الأكاديمية منها والصحفية، أن الغرب يرى إن هناك جذورا عميقة للصراع السياسي القائم بين العرب والإيرانيين في الوقت الحاضر، تمتد إلى الجذور العرقية والحساسيات الشعبوية التي انتجتها جروح التاريخ الغائرة بين العرقتين العربية والفارسية في مختلف القرون منذ أول ظهور لدولة الفرس. لكنها أيضا تسترعي الشعور بأن كثيرا من مفردات هذا الصراع القائم، تنتقل من حيز الصدام السياسي والأيدولوجي بين دولة ولاية الفقيه الإيرانية والأنظمة العربية إلى استنادات ذات طبيعة طائفية وعنصرية عرقية - هدفها إقصائي عدائي- لا يشترط أن تكون صحيحة لكن الجانبين يغذيانهما ضمن خطاب المواجهة السياسي، عوضا عن الخطاب الديني المليء بالاتهامات المستندة على الموروث الديني للطائفتين أو الكلام الحماسي المشحون بالعداوة، ومن ذلك لفظة «المجوسية» التي كان ظهورها أولاً دينياً، ثم أصبح جزءاً من مفردات الآلة الإعلامية السياسية والدينية والاجتماعية معاً. بالنسبة للغرب، يبدو أن «مجوسية نظام ولاية الفقيه» خرافة، فالمراجع المذكورة توضح أن إيران الشيعية كانت وما تزال عدوة للزرادشتين، حتى من وجهة نظر زرادشتيي (مجوس) اليوم أنفسهم.

يتضح أيضاً أن الغرب يدين للمجوسية (الزرادشتية) كديانة بالكثير من الاحترام والامتنان، لأسباب تاريخية مختلفة²⁵، عدا أن هناك اعتقاداً شائعاً بأنها تتعرض للقهر والتطهير سواء من قبل نظام الثورة الإيراني أو الدولة الإسلامية التي

(24) Alexandra Siegel, Sectarian Twitter Wars: Sunni-Shia Conflict and Cooperation in the Digital Age, December 20, 2015, on: <http://goo.gl/oZXI5e>

(25) كانت الامبراطورية الفارسية بحسب مصادر تاريخية سببا في تحرير اليهود من السبي البابلي، كما أن كثيرا من المعتقدات اليهودية لتتقي مع الزرادشتية، وهناك مزاعم بأن اليهود نقلوا عقيدة التوحيد عنها.

تمارس تطهيراً شاملاً بحق الإيزيديين، ويُعتقد -ربما بشكل مغلوط- أن ديانتهم انبثقت منها²⁶. وهذا يعني أن استخدام العرب لاتهام الإيرانيين بأنهم مجوس يرجح بأن ينعكس بشكل إيجابي على الإيرانيين، حتى في ظل نظامهم الحالي. إن لم يكن ينعكس سلباً على مستخدمي الاتهام باعتبار أنهم يمثلون أولئك الذين يحاولون وصم شعب يدين بالإسلام تبعاً لجذور تمتد لآلاف السنين. لكن وفي حيز متناقض أحياناً يرد في كثير من المصادر، وعلى لسان الإيرانيين وحتى المعتنقين للديانة التي باتت اليوم «إثنية» الهوية، إن إيران تعزز بفارسيته وتكره عروبة الإسلام وما يمثله تاريخياً.

وفيما توضح كثير من الأدبيات العربية السنية أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين «المجوس عبدة النار» وظهور الشيعة وكراهية الإيرانيين للعرب، فإن الغرب يتغاضى عن حماسة هذا الخطاب لصالح واقع سياسي تتناقض فيه المعطيات، بما أن إيران تملك علاقات جيدة مع بعض الأنظمة العربية، وتدعم عروبة فلسطين، وأن فيها فرساً «سنة»، وتسمي نفسها بالدولة الإسلامية دون أن تنتج شيئاً مثل «داعش»، وتفتخر بتراتها القائم على تقديس بيت النبوة العربي، وانتماء كثير من ملاليه إلى سلسلة نسبه -بمن فيهم الخميني قائد ثورة ولاية الفقيه نفسه²⁷.

يرى الغرب في كثير من المنشورات أن إيران، حتى وهي في ظل نظام ديني توسعي، لا تزال أعمق حضارة من العرب بصورتهم النمطية المشوهة وحاضرهم المتصل بـ (الإرهاب) والتسلط الاجتماعي والديني. كما أن كثيراً من الباحثين في الأنثروبولوجيا الشرق أوسطية والدراسات الاجتماعية والثقافية عموماً، يرون أن

(26) تشير كثير من المراجع حول الأديان إلى الإيزيدية على أنها طائفة زرادشتية في الأصل. ولكن الباحث الإيزيدي عمو حسن أوضح أن هذه فكرة مغلوطة لأن الديانتين تستندان إلى الميثولوجيا الفارسية نفسها، لكن الإيزيدية أقدم في الظهور، وتتشابه مع التعاليم الزرادشتية دون تطابق أو ارتباط. انظر:

Amo Hasan, Introduction To The Persian Origins Of The Yezidi Religion, hindu geopolitics, December 9, 2014, on:

<http://goo.gl/KpVPB7>

(27) الموقع الرسمي للخميني (Imam-khomeini.com) على الرابط المختصر التالي:

<http://goo.gl/2eMDXV>

الجدور الحضارية للإيرانيين انسجمت مع هويتهم الإسلامية في غالب الأحيان بينما حدث العكس من وجهة نظرهم عند العرب، وتعدّ في بعضها أن التشيع يشترك في كثير من المعتقدات والمظلوميات والتراث الديني مع الديانتين اليهودية والمسيحية، وهو ما عمق لدى كثير منهم الاعتقاد أن الهوية العربية «السنية» إقصائية تكره الحياة في أصلها، تغيّب كل ما سبقها ولا تتعايش مع بقائه وخيارات الاحتفاظ به، وهو أيضاً ما يعمق من شعور التعاطف والتفاعل المباشر وغير المباشر مع القضايا الإيرانية سواء السياسية أو الثقافية والاجتماعية، والاستعداد الذي ظهر سريعاً لدى دول الغرب لاحتواء إيران وفتح صفحة جديدة معها برغم كل التحفظات.

الخاتمة

إن اتهام إيران بالمجوسية، جزء من بروباغاندا متصلة بالتطرف الديني والعنقي في آخرها، يمكنها مداعبة مشاعر الجماهير في داخل دول المنطقة المحتقنة ثقافياً واجتماعياً ودينيّاً، وأكثر من يستخدمها ينتمون لتنظيمات وفكر متطرفين وبعضهم يتبع القاعدة وداعش، وبالتالي فإنها أقل من أن تستخدم أداة سياسية لأي صراع كان في زمننا المعاصر، وأقل من أن ترتبط بأي مؤسسة تابعة لدولة محترمة دولياً، ولا أي من ممثليها. هكذا الغرب يراها، وكان علينا أن نراها كذلك في الأصل، حتى وإن افتُرض أن هناك شيئاً من الحقيقة في اتهام الإيرانيين بالمجوسية أو الحقد على العرب أو النرجسية الفارسية المحترقة للعروبة، فالهدف من البروباغاندا أن تحقق انتصارات تعزز من الموقف السياسي، وهذا ما لا يحدث في حالة الموقف السياسي الدولي المعني بالدراسة.